في ظلال السيرة (1)

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

نعيش اليوم مع أروع خبر ..

وأضخم حدث، و أجمل قصة ..

نعيش اليوم مع أكرم وأكمل مخلوق، وأشرف إنسان..

نعيش اليوم مع أعظم لحظة في تاريخ البشرية ..

تعالوا معي إلى أحسن القصص، وأروع الأحداث ..

تعالوا معي إلى سيد الأحداث ورأسها ..

يوم كانت فجاج مكة وجبالها تحضن رسول الله أشرف إنسان ، وأعظم مخلوق فها هو يدنو من الأربعين عاماً .

وبدأت التهيئة والإعداد لأعظم أحداث التاريخ..

بدأ الإعداد لأشرف لقاءٍ ، وأعظم اجتماع ..

ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ طه: ٣٩

بدأت التهنئة لهذا الحدث بالرؤيا الصالحة في النوم فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

كان يرى الرؤيا في النوم فتجيء في اليقظة كاملةً تامةً كما رءاها في المنام كأنما نقشت في قلبه وعقله.

بدأت التهيئة يوم كان يسير في شعاب مكة فإذا بالأحجار الصمّاء تحيّه بالسلام يقول رسول الله «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» رواه مسلم .

بدأت التهيئة لهذا الحدث الضخم العظيم بحبّه للخلاء في غار حراء فكان يخلو بنفسه بعيداً عن لغو النّاس ، ومشاغل الحياة ، ومخالطة الخلق.

كان يخلوا بربّه فيتحنّث في ذاك الجبل الشامخ ، والغار المظلم ، وبين تلك الصخور هناك في تلك القمة السامقة والغار الضيق كان رسول الله يأخذ زاد الليل الطوال ، فيمكث خالياً لوحده ، مناجياً لربّه ، متأملاً في هذا الكون البديع ، والخلق الجميل ، كم نحن بأمس الحاجة إلى خلوة في ظلمة ليل أو حجرة خالية يذكر العبد فيه ربه ويسكب عبرته ويقف على حكمة خلقه ومصيره بعد موته ورحيله ؟ وهذه الخلوة غيبت عن حياتنا وشغلتنا أموالنا وأهلونا .

كان رسول الله يتفكر في حكمة خلق العباد ومصيرهم بعد رحيلهم ، وبين سكون الليل وضياء النهار وفي لحظة من لحظات هذا التفكير العميق والكون الهادئ ، لا إنسٌ ، ولا جنٌّ ، ولا صوتٌ ، ولا حركةٌ هدوء عميق ، وصمتٌ رهيب .

في هذا السكون وإذا بقلب رسول الله يُفجع ، ويرجف ، ويُرَوَّع .

من الذي روّعه ؟

من الذي أفزعه ؟

رسول الوحي جبرائيل # ، روح القدس يلقاه في هذا المكان المظلم ، جبريل الذي وصفه الله فقال ﭽﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ التكوير: ١٩ - ٢١

العظيمان يلتقيان ، رسول الوحي في السماء ملك من أعظم عوالم الملأ الأعلى في علو روحانيته وقدسيته ، ورسولٌ من أهل الأرض من البشر .

لقاءٌ بين عظيمين لا تجانس بينهما ، فهذا بشرٌ من الأرض ، وهذا ملكٌ من السماء، هذا خلق من نور وهذا خلق من تراب

وإذا بجبرائيل # يقول لرسول الله في هذا اللقاء المهيب : ﭽ ﭻ ﭼ

وما كان رسول الله يتلو من كتاب ولا يخطه بيمينه .

كان أميّاً لا يقرأُ ولا يكتب ، وجبريل # يقول له : ﭽﭻﭼ ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، ما كنت قارئاً»، فيغطّه جبرائيل # ، ويضمّه ضمّاً شديداً حتى بلغ الجهد برسول الله ثُمَّ أَرْسَلَه، فَقَالَ: ﭽﭻﭼ ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فيغطّه الثَّانِيَةَ ويقول: ﭽﭻﭼ ، ويجيب رسول الله بذات الجواب: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فيغطّه الثالثة ويقول: ﭽﭻﭼ ، مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فتلا جبرائيل بأوّل حروف الوحي الإلهي:

ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ العلق: ١ - ٣

الله أكبر ..

بهذه الآيات الخمس ، بدأ رسول الله رسالته .

بهذه الآيات الخمس التي تحمل في طياتها الخلق ، والكرم ، والعلم ، فالذي أنزل عليك الوحي هو الذي خلق ، خلق الإنسان من علق .

الذي أنزل عليك الوحي هو الله الكريم الأكرم .

الذي أنزل عليك الوحي هو العليم الذي علّم بالقلم .

وبعد هذا اللقاء المهيب ، هبط النبي من هذا الغار الشاهق ، فزعاً يرجفُ فؤاده متوجّهاً إلى رفيقة دربه ، وشريكة حياته ، إلى زوجته الحبيبة خديجة بنت خويلد ، ليكشف لها عن خبرٍ هزَّ بشريّته هزّاً ويخبرها بخير ما رأى وسمع والله يا خديجة «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» .

وإذا بتلك الزوجة العظيمة في عقلها وعلمها، العارفة بسنن الله في خلقه ، وما يحمله زوجها من مكارم الأخلاق ، ومناقب الرجال ، تتلقّى فزعه ، وخوفه ، وتهدئ من روعه وخوفه بكلماتٍ تكشف بها عن فزعه وخوفه ، فقالت < بثقةٍ وجزم : كَلَّا «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا بهذا اليقين الجازم والحديث المؤكد تقذف خديجة الطمأنينة في قلب رسول الله بكلماتٍ تذكّره بتاريخه المجيد، وصفحاته البيضاء، وأخلاقه الحسنة، كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» متفق عليه .

كلمات عظيمة ، وخصالٌ شريفة تعدّها خديجة بين يدي رسول الله عدّاً، لتثبّتُ بها فؤاده ، وتطفئُ بها روعه وفزعه ، ثمّ انطلقت خديجة برسول الله حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكان ورقة من الحنفاءِ الذين يتربّصون خروج نبيٍّ صادق ، يكشف عن الظلمة والفساد الذي دبَّ في الأرض ومن عليها ، كان ورقة يقرأ في العلوم السابقة ويَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ متعجّباً : «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

الثانية

وبعد هذا اللقاء فَتَرَ الوَحْيُ ، وتأخر عن رسول الله أياماً .

حتى يتهيأ رسول الله للقاء آخر برسول الوحي جبريل # .

وفي ذات يومٍ يخرج رسول الله يطوف في شعاب مكة يترقب السماء، ويتأمل في هذا الكون الفسيح، وإذا برسول الله يسمع النداء فيلتفت يميناً وشمالاً، وينظر بين يديه ومن خلفه فلا يرى أحداً ، ويسمع صوتاً عظيماً ، فيرفع بصره إلى السماء فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَه بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْ مِنْهُ، وسقط رسول الله على الأرض من هول ما رأى ، وعاد إلى بيته يقول : «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ المدثر: ١ – ٥ رواه البخاري .

وبهذا اللقاء الكبير، والوحي الإلهي أصبح رسول الله رحمةً للناس أجمعين، ومبلغاً لرسالة ربّ العالمين.

أختار الله هذا النبي واصطفاه من سائر الخلق كلّهم دون طلبٍ أو رغبةٍ ﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭼ القصص: ٨٦

ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ الأنعام: ١٢٤

ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﭼ الحج: ٧٥

محمد خيرُ خلقِ اللهِ أَجْمَعُهُم

وأكرمُ الخلقِ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ

يا رحمةً من إلهِ الكونِ قد بعثت

يا بَدْرَ ليلٍ بدا في حالكِ الظُلَمِ

يا أعدلَ النّاسِ أخلاقاً وأكْـرَمَهُم

نَهْجًا وأَصْدَقَهُم في الفِعْلِ والْكَلِمِ

يا أكملَ الناسِ إيماناً وأَحْسَنُهم

وجهاً وأسرَعَهُم في العفو والشِّيَمِ

يا أكمل الخلق أوصافاً وأشرَفَهم

حباك رَبُّكَ في التمجيدِ في القلمِ

عليك منّا صلاةً كلَّ ما صَدَحَت

حمامة البيت بالتسبيحِ في الحرمِ

عليك منّا صلاةً لا جزاءَ لها

إلا الجّنانَ وما فيها من النّعَمِ

وبدأ لقاء العظيمين جبريل # ورسول الله يتجدد في مدارسة القرآن ،و في شهر رمضان من كل عام ، وأصبح هذا اللقاء الايماني زاداً لرسول الله في دعوته ، فيقرأ جبريل # ، ويستمع رسول الله ، ويقرأ رسول الله ، ويستمع جبريل #، وفي آخر رمضان عاشه رسول الله ، عارض جبريل # القرآن لرسول الله مرّتين ، وكان هذا التكرار إيذاناً بقرب أجله ، وقال: «يَا فَاطِمَةُ، كَانَ جِبْرِيلُ يَأْتِينِي فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ أَتَانِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ , وَلا أَرَانِي إِلا أُفَارِقُ الدُّنْيَا» فضائل القرآن وتلاوته للرازي .

خَتَمَ الِإلهُ بِهِ الرِّسَالَةَ كُلّها

بَابُ السَّمَاءَ بِمَوْتِ طَه أُغْلِقَ

صَلَّى عليْهِ اللهُ مَا نُورٌ بَدَا

وشُعَاعُ شَمْسٍ فِي البَريَّةِ أَشْرَقَ

**انتهت الخطبة**